كلمات فى وداع رمزى زكى .....
راهب الفكر الاقتصادى

فى وداع رمزى زكى

محمد محمود الإمام

ومضى واحد من أنبغ التلاميذ وأفضل الأساتذة وأكرم الناس خلقاً ... مضى رمزى زكى، وكأنى به بالأمس يحمل ابتسامته الوضاءة، ويكتسى وجهه بمعالم الثقة والاعتزاز، يجتاز بهما أبواب معهد التخطيط القومى لتتلقفه أيدى أستاذه الدكتور/ أحمد حسنى أحمد، الذى سرعان ما غاب عنا فى الكويت، وكأن وفاء رمزى له شاء أن يلحق به فى الكويت أيضاً. ولم تمض أيام معدودات، وهو بعد الباحث المبتدئ، حتى خرج إلى المكتبة العربية بكتاب مرجعى عن واحدة من أهم مشكلات التنمية وهى قضية الادخار... وليس أدل على حسن اختياره من أنه وبعد مضى ثلث قرن على ظهور كتابه، لا تزال مصر تلهث وراء حل لهذه المشكلة. ثم يتطلع إلى العالم بعد أن حصل على الدكتوراه فى الاقتصاد ليجده غارقاً فى مواجهة تضخم لم يسبق له مثيل، فيدلى بدلوه فى أكثر من مؤلف عن التحليل العلمى لهذه الظاهرة وسبل معالجتها. وانتقل مع الثمانينات إلى قضية هزت أركان العالم ودوله الساعية إلى النمو وهى قضية المديونية التى لا تزال تجرجر أذيالها حتى الآن، ليردها إلى أصولها ويطرح الحلول لها. وقادته دراساته إلى إدراك أن العلة الحقيقية كامنة فى طبيعة الرأسمالية، فعكف عليها يتعمق فى دراستها وإظهار مدى توحشها الذى دفعها فى التسعينات إلى فرض برامج ما يسمى بالتكيف والإصلاح الاقتصادى، التى كانت انتقاداته لها من أعمق ما كتب بشأنها.

لم تشغله تلك القضايا الكبرى عن قضايا الوطن العربى التى ظل منشغلاً بها يفند أوهام التنمية العربية، ويطرح لها حلولاً كان لها أجمل الوقع فى المنابر العربية العديدة التى شارك فيها فتركت مشاركاته بصمات له واضحة فيما وصلت إليه من توصيات وصدر عنها من إعلانات. وتتعدد الجوانب التى يتناولها الراهب رمزى زكى وهو فى صومعته لا يلهيه عنها زخرف الدنيا. فكان بذلك أستاذاً

للعديد من الباحثين ودارسى درجات الماجستير والدكتوراه، الذين قلما تخلو دراساتهم من إشارة إلى واحدة أو أكثر من مؤلفاته. وإذا بهم جميعاً يصدمون بخفوت ذلك الضوء الذى ظل ساطعاً من منارة علمه الغزير ويجدون فى التراث الذى خلفه بعض العزاء، مترحمين عليه، وآسفين على ما أصاب المجتمع العلمى العربى بفقدانه... ليرحمه الله ويعوضنا عنه خيراً.

رمزى زكى والاختيارات الثلاثة

جلال أمين

ثلاثة اختيارات اختارها الزميل العزيز الراحل الدكتور/ رمزى زكى فكان موفقاً فيها جميعاً.

اختار بعد أن حصل على الدكتوراه فى ١٩٧٤ أن يسلك طريق العلماء، لا طريق الكتابة الصحفية أو السياسية. وقد يعتبر هذا الاختيار بديهياً، ولكنه ليس فى الحقيقة كذلك. على الأقل فى مصر، حيث اعتدنا طوال نصف القرن الماضى، أن نرى اقتصاديين حصلوا على أكبر الشهادات من أفضل الجامعات، ثم انصرفوا عن العلم إلى الكتابة فى الصحف أو إلى الاشتغال بالسياسة.

ومن بين مختلف أنواع الكتابة العلمية فى الاقتصاد اختار رمزى زكى كتابة الكتب التى تتناول من بعيد أو قريب قضايا حالة وملحة مع البحث فى أسسها النظرية، والإحاطة بأحدث ما كتب فيها فى الغرب. قد يبدو هذا الاختيار بدوره بديهياً، ولكنه ليس كذلك، إذ ما أكثر ما كتب أساتذة الاقتصاد فى مصر عن قضايا لا علاقة لها بالواقع، أو على نحو مدرسى قد يسد حاجة التلاميذ الراغبين فى اجتياز الامتحانات، ولكنه لا يلبى حاجة الطالب الطموح أو القارئ المثقف المهموم بقضايا حالة وملحة. أما الاختيار الثالث، فيتعلق بانحياز رمزى زكى للفقراء والمستضعفين فى الأرض بدلاً من الانحياز لأصحاب الامتيازات المتمتعين بمصادر الثروة والسلطة. فقد اكتشف رمزى زكى منذ البداية، ما عجز عن إدراكه كثيرون من زملائه المشتغلين بالعلوم الاجتماعية، وهو أن الجزء الأكبر

من الكتابات الاقتصادية والاجتماعية يعكس تحيزات أصحابها وتفضيلاتهم المذهبية أكثر مما يعكس رغبة خالصة فى الاقتراب من الحقيقة. إن التحيز قائم حتى فيما يقدم لنا من تحليلات نظرية، فما بالك بما يكتب فى الايصاء لسياسة اقتصادية دون أخرى؟

اكتشف رمزى زكى أذن أن الحياد فى الكتابة الاقتصادية وخاصة فيما يتعلق منها بالسياسة الاقتصادية، يكاد أن يكون مستحيلاً. فإذا كان لابد من الانحياز فى الأفضل والأنبل هو الانحياز لمن يقعون ضحية للظلم الاجتماعى وليس الانحياز للمستفيدين منه.

كلمة فى رثاء الدكتور/ رمزى زكى

عيسى الغزالى

لقد تلقت أسرة المعهد العربى للتخطيط نبأ رحيل الفقيد الدكتور/ رمزى زكى (رحمه الله) بألم ومرارة، بعد أن عمل الراحل، بدرجة مستشار، لدى المعهد منذ عام ١٩٨٣ وحتى أول أغسطس ١٩٩٠. فقد أغنى الراحل مكتبة المعهد، وبرامجه التدريبية، وبحوثه، ولقاءاته العلمية من خلال مسئوليته عن إدارة مناقشة المحاضرات العامة. حيث بلغت مساهمات الراحل لمكتبة المعهد حوالى ستة وستين مساهمة.

لقد ترك الدكتور/ رمزى زكى مساحة حب وتقدير وذكرى طيبة فى نفوس كافة من عمل معه بالمعهد. فقد تمتع الرجل بصفات المتابعة والإخلاص والتفانى بالعمل، والصبر والجلد فى البحث، والإنتاج الغزير والمتواصل. والأهم من ذلك تمتعه بالأدب الجم خاصة مع من خالفه بالرأى أو الفكرة أو التوجه.

ومن مزايا الزميل الراحل التى ستخلد ذكراه، ثباته على موقفه من العلاقة ما بين علم الاقتصاد المجرد والعدالة الاجتماعية وحقوق الناس البسطاء بالثروة الدخل وبتوزيع أقرب للعدالة. فرغم التحولات الجذرية والجوهرية فى الاقتصاد

العالمى من حيث الأدوار الاقتصادية المنوطة بالدولة، والاتجاهات نحو ما اصطلح عليه بعولمة الأسواق الدولية، والاتجاه نحو التخصيص، فقد ظلت منطلقات زميلنا الراحل واضحة: فالعولمة لا بأس بها إذا لم تؤد إلى تدهور بالسيادة الوطنية والقومية، والتخصيص مفيد إذا لم يكن على حساب دور الدولة كحارس لمصالح الفئات الأفقر، وكصمام أمان للمستقبل ضد المصالح الشخصية الضيقة.

لقد بقى الفقيد، ولغاية رحيله، وفقاً لمبادئه، وللمنطلقات الاقتصادية التى تحترم الإنسان وتسعى لتعظيم رفاه الاقتصادى والاجتماعى والسياسى. ولا غرابة أن يهدى الراحل آخر كتبه "انفجار العجز" إلى "أنصار التقدم والعدالة الاجتماعية والديمقراطية.."

رحم الله الفقيد برحمته الواسعة، وألهم أهله، وأصدقاءه، وزملاءه الصبر بفقده، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رمزى زكى ، فارس واجب التكريم من الناس

نادر فرجانى

لا يقارب الإحساس بالفجيعة فى فقد رمزى زكى إلا رغبة فى تكريم المثل العليا التى جسدها طوال حياته القصيرة، زمناً ولكن العامرة إنتاجاً وإثراء للمعرفة، وللناس وللإنسانية جمعاء.

فمن التقاليد الإنسانية الراقية تكريم الفرسان، خاصة أولئك الذين يسقطون فى خضم المعارك النبيلة من أجل نشر المعرفة وترقية الوجود البشرى وصولاً إلى المثل الإنسانية العليا. ولقد كرس رمزى زكى حياته لهاتين الغايتين، بإخلاص نادر المثال، واقتدار لا يبارى، ومحبة محببة.

ولكن من نكد الدهر أن يُحجب التكريم الرسمى فى المجتمعات المتخلفة عن بعض من أفضل من يستحقونه بسبب اختلاف توجهاتهم عن خدمة نظم الحكم القهرية التى تستبد بالسلطة وبالناس فى مثل هذه التجمعات. بينما يسبغ التكريم

الرسمى فى الأغلب على من لا يستحقون من سدنة هذه النظم الاستبدادية، جزافاً. ويزيد من غرم هذه الممارسات الرسمية المكروهة ضعف المؤسسات المهنية، فتضيق أيضاً دائرة التكريم الواجب من المؤسسات غير الحكومية.

وإن كان رمزى زكى لم يحصل فى حياته من الدولة على التكريم الذى استحق بجدارة، ولا يساورنى كثير أمل فى أن يلقى اسمه الآن من التكريم ما يستحق. فقد صار لزاماً أن يعوّض التكريم الشعبى قصور الدولة فى هذا الصدد. ولعل التكريم الشعبى أنسب فى حالة رمزى، فقد كان فارس الناس والإنسانية ولم يتزلف السلطة الغشوم يوماً.

ومن الضرورى أن يؤسس الناس مؤسساتهم البديلة لتلافى قصور الدولة فى جميع المجالات. باختصار، هذه دعوة مفتوحة لجميع محبى رمزى زكى وأساتذته وزملائه وتلاميذه، على اتساع الوطن العربى، للمساهمة فى تكريم الفارس الذى عاش، وفاضت روحه، وهو يناضل من أجل المعرفة والكرامة الإنسانية.

رمزٌ خفاقٌ للفكر التنموى ـ الوطنى

محمد عبد الشفيع عيسى

كان الدكتور/ رمزى زكى رحمه الله مهموماً بقضايا وطنه الحبيب مصر فى المقام الأول. كان اختصاصه الأصيل وتخصصه الدقيق هو الاقتصاد المالى، حيث بدا برسالته للماجستير حول (مشكلة الادخار فى البلاد النامية، بالتطبيق على مصر) وتناول فى رسالته للدكتوراه من جمهورية ألمانيا الديمقراطية مشكلة التراكم، وبعد عودته عكف على السِّفْر العظيم (أزمة الديون الخارجية ــ رؤية من العالم الثالث) حتى أخرجه وحصل به على جائزة الدولة التشجيعية فى علم الاقتصاد ــ تلاه (مشكلة التضخم فى الاقتصاد المصرى) وانطلق من ذلك فأعد دراسات متنوعة حول نفس الموضوع، منها دراسة صدرت ضمن سلسلة (قضايا التنمية والتخطيط) بمعهد التخطيط القومى عن التضخم فى الاقتصاد المصرى، وأصدر مذكرة داخلية للمعهد حول (الآثار الاجتماعية للتضخم) ــ ثم قدم بحثين

للمؤتمر العلمى السنوى للاقتصاديين المصريين حول التكيف الهيكلى وآثاره على الديون والموازنة العامة ـ وانطلق فأصدر كتاباً عن (العجز فى الموازنة العامة) وكتاباً آخر بعنوان (انفجار العجز) ـ ..... الخ.

وجل ما كان يشغل د. رمزى زكى فى هذا المجال هو توظيف المفاهيم الاقتصادية فى التحليل العلمى لتطور الاقتصاد المصرى ومثال ذلك (نموذج الفجوتين) فى كتاب (أزمة الديون) ومفهوم التضخم بين رؤية النقديين والهيكليين..... الخ.

ولذلك نجد أن اهتمامه بقضايا الاقتصاد المالى، كانت نقطة فى البحر الزاخر لاهتمامه بقضية التنمية عموماً، وتنمية الاقتصاد المصرى خصوصاً. ومن هنا قدم بحثه عن (الأزمة الراهنة للفكر التنموى) إلى مؤتمر الاقتصاديين المصريين فى منتصف الثمانينات، وتلاه بكتاب صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية بعنوان (الاقتصاد العربى تحت الحصار)، وفى نفس الوقت اهتم بالقضايا العلمية للفكر التنموى، وخاصة من زاوية الجدل بين الكينزيين والنيوكلاسيك، فنشر سلسلة إضافية من المقالات فى (الأهرام الاقتصادى) حول هذا الموضوع، وجمعها فى كتاب، ومن بعده كتاب عن (الليبرالية المستبدة) ثم (الليبرالية المتوحشة)، وظل مشغولاً بنفس القضية حين أصدر فى سنوات حياته الحافلة الأخيرة كتاب (وداعاً للطبقة الوسطى).

ومن هنا يمكن القول إن الاقتصاد المالى، فى قلب الفكر التنموى، كان شاغله الكبير ..... وقد ربط هذا الشاغل الرئيسى بإطار نظرى محكم تجلى فى ثلاثة كتب صدرت فى (سلسلة عالم المعرفة): الأول (التاريخ النقدى للتخلف) حيث وضع اختصاصه الأصيل (الوضع المالى والنقدى)، فى إطار تطور النظام الاقتصادى العالمى، جاعلاً نصب عينيه حالة البلاد المتخلفة اقتصادياً والنامية ـ الثانى عن (المشكلة السكانية وأزمة المالثوسية الجديدة) محاوراً مقتدراً للفكر الاقتصادى العالمى بشأن السكان، وأخيراً كتاب (الاقتصاد السياسى للبطالة) معالجاً قضية التشغيل ضمن المنظور الاقتصادى ـ التنموى.

ومن هذا يتجلى إسهام رمزى زكى فى الفكر الاقتصادى العربى المعاصر، لقد كان رائداً مبرزاً من وراء مدرسة الاقتصاديين المصريين والعرب المعنية بتحليل الواقع الاقتصادى العربى والمصرى، انطلاقاً من توظيف المفاهيم العلمية فى سياق البحث من منطلق وطنى تقدمى، موجه لخدمة الوطن .. لتحقيق التنمية والتحرر الاقتصادى .. وللتحرر من إسار التخلف والتبعية .. وقد أثمرت هذه الدراسة ثماراً يافعة، أجيالاً متتابعة من الشباب المثقف اقتصادياً، والواعى وطنياً، والقادر على خدمة أمته بصورة أفضل وأشمل.

رحمه الله رحمة واسعة جزاء ما قدمه لأمته العربية العظيمة وبلده مصر التى أحبها من كل قلبه.

ذلك الاشتراكى الصلب

سعد حافظ

رحل رمزى زكى، لكنه خلف لنا تراثاً هائلاً من الكتب والمحاورات والمواقف التى لا تلين أمام تخويف السلطة أو إرهاب المنتقدين بعدم مسايرة العولمة وروح العصر ذلك أنه كان أكثر فهماً لهذه العولمة ولروح العصر. وكان لا يخجل (كما فعل الكثير من المفكرين) من اشتراكيته، ولا يتردد بشأنها.

وانعكست اشتراكيته على اختياره لموضوعات كتبه وأبحاثه كما في دراسته عن "المشكلة السكانية وخرافة المالثوسية" وانتقاداته لليبرالية الجديدة "الليبرالية المتوحشة" و"الليبرالية المستبدة" فى وقت غازل فيه الكثيرون الليبرالية وآليات السوق ولم يكن اختياره للكتب عن نظرة أيديولوجية، بل عن رؤية علمية لقوانين التطور، التى استطاع منها أن ينفذ إلى فهم جوهر "العولمة المالية"، وآلياتها كما أبرزها فى "الاحتياطيات الدولية"، و "عجز الموازنة" و "التاريخ النقدي للتخلف" ومؤلفاته المتعددة عن التضخم.

ولم يقف عند حدود الفهم العلمى للاشتراكية، بل تعداها "للنزعة الإنسانية" لها وهى جوهر هذه الاشتراكية، فنراها بين السطور، وفى العناوين، وفى اختيار موضوعات الطرح، عن البطالة فى كتابه "الاقتصاد السياسى للبطالة" وعن "أطفال الشوارع"، وفى وداعه للطبقة الوسطى.

وهو صوت اشتراكى متميز، لا يقف عند حدود المطحونين داخل الوطن، ولا يقبل بالتعميم الميكانيكى للأممية كما فعل الكثيرون، بل نجده ينتقى فى ظل هذه التطورات رؤية العالم الثالث. العالم الثالث بشكل عام وفى خصوصياته فى مصر والعالم الثالث. فنجد أن أغلب كتاباته تنطلق من قراءة العام والمشترك فى قضايا العالم الثالث، كقضايا المديونية والاستقلال والتبعية وفى طرحه لاستراتيجيات التنمية.

وكان ذا بصيرة نافذة أو كان العرافة التى أدركت دور صندوق النقد الدولى والبنك الدولى (الدور المؤسسى) فى تكبيل دول العالم الثالث بالمديونية وفى نسج خيوطها حوله، وفى جره لتوصيات "التكيف الهيكلى"، وفى فرض الحصار حوله كما فى كتاباته عن "الاقتصاد العربى تحت الحصار".

أقول لم ينطلق عن نظرة أيديولوجية مجردة، بل انطلق عن رؤية علمية. ففى "وداعه للطبقة الوسطى" أدرك نهاية الدور التاريخى لهذه الطبقة التى أثرت فى مسار حركة التحرر الوطنى والاستقلال الاقتصادى والتنمية رغم أنها ليست الطبقة المنوطة بهذا الدور التاريخى وفق الأيديولوجية الاشتراكية العلمية.

هذا التراث وهذه الرؤية العلمية الاشتراكية المتميزة فى حاجة لتأصيل ودراسة معمقة لإعادة اكتشافها، ولإعادة طرحها قبل أن ننسى، أو قبل أن نتناسى. ودون أن نخجل من أفكارنا إذا ما غشاها ضباب العولمة و "فوضى السوق"، ودخان الليبرالية البراق. مودعين القرن العشرين معه، وتاركين لمن بعدنا تراثه فى القرن القادم وما شاء الله لهذا التراث أن يعيش.

غَرُب رمزى زكى، فغابت معه قيمة كبيرة على نصار

بدأت زمالتى مع رمزى زكى عندما استرسل يشرح لى بعد شهور من تعيينه بمعهد التخطيط القومى ــ نظريات "علم الجمال" من مسودة كتاب أنجزه. وكنت أعرف، كما تعلمت فى كليتى التى تخرجت منها أن الباحث يجب أن يكون له نظرة ثاقبة باحثة عن الجمال. وبدأت صداقتى معه عندما حاصرتنا الثلوج (والجوع والمعاناة) فوق رصيف مكشوف للقطارات فى برلين، وطال بيننا حديث اكتشفت من خلاله دفئاً رائعاً فى شخصيته. وكنت ألاحظ فيما بعد أن الباحث المتجرد من دفء العاطفة يفترض دائماً وجود "موضوعية" و "واقعية" وبالتالى يخرج بالعلم إلى أدواتية وميكانيكية تنحرف دائماً عما هو العلم ومناهجه.

اختلفت كثيراً مع رمزى زكى فى قراءاتنا لما هو الرأسمالية وقدراتها على التعديل لمسيرتها، وفى قراءة بعض الأرقام، وعن السوق والشرائح الاجتماعية ... وعن المسافة بين علم الاقتصاد ونظريات التنمية. ولكنه كان يثبت دائماً أنه "الأكاديمى" الاقتصادى البارع الذى لا تفلت من بين يديه مكونات علمه (الاقتصادى)، فلم يفقد اهتمامه بالتنظير أبداً أمام الصرعات (المودات) الوافدة. إنه الأكاديمى الأمين الذى يتحدث صراحة عن انحيازه الذاتى للفقراء، وللباحثين عن فرص الحياة مقابل ما قدموه من العمل. لم يتحول بعلم الاقتصاد إلى عمل اجتماعى إنسانى، ولم يغرق فى التهكم على الآخرين بل قاتلهم من خلال كتبه.

بصراحة، نحن بكيناه يوم تشييعه لأنه "قيمة كبيرة" غرُبت فى وقت "التهافت"، على الصرعات وعلى الانفتاح، ودون درس ودون مقاومة من الجماعة العلمية الاقتصادية أو كثير من أعضائها. ولأنه "قيمة كبيرة" فى إعلانه الصريح عن انحيازه وعن طبيعة معارك الإنسان فيه. ولأنه "قيمة كبيرة" يستحيل معها تجسيد الفجوة مع من ضاعوا وضاع معهم أكاديميون سابقون.

أنا فقط أرجو كل من بكى وتألم فى جمعه للمال مستفيداً برفع رايات علم الاقتصاد، أرجو أن يعتبر قدراً من هذا المال هو "استقطاع من حاجة" شاب

(أو شابة) واعد فى هذا العلم، لينتج لنا كتاباً فى الاقتصاد فى نفس العمل الذى أنتج فيه رمزى زكى أول كتبه.

رحيل الأستاذ خسارة إنسانية وفكرية كبيرة

إقبال الرحمانى

تعود علاقتى بالأستاذ الدكتور/ رمزى زكى (رحمه الله). إلى منتصف الثمانينات حين كان يعمل مستشاراً في المعهد العربى للتخطيط في الكويت وكنت حينها أقوم بزيارته وحضور بعض محاضراته حيث كنت طالبة في الدراسات العليا. لقاءاتى القصيرة معه كانت بالغة الأثراء الفكرى والنفسى. وحرص من حينها وإلى آخر لحظة في حياته على إهدائى كتبه القيمة وعلى تشجيعى وحثى على البحث الجاد. وهكذا كان عهده فى تشجيع طلبة العلم وتفانى فى ذلك.

واستمرت لقاءاتى معه حتى منتصف التسعينات فى مكتبه فى وزارة التخطيط حيث كان يعمل مستشاراً. تلك اللقاءات المحدودة كانت أيضاً غنية فى الحوار الفكرى وخاصة عن هموم الإنسان عموماً والعربى بشكل خاص، فى ظل المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المحلية منها والعالمية. وفى أحد هذه اللقاءات ناقشنا فكرة التحاقه في قسم الاقتصاد بجامعة الكويت والتى كنت على قناعة تامة أن تحققها يعنى فخراً للقسم بانضمام أستاذ ومفكر عريق مثله.

خلال سنواته الثلاث الأخيرة فى جامعة الكويت تعمقت علاقتى الفكرية والإنسانية به أكثر، فقد اشتركنا خلالها ليس فقط بالاهتمامات الفكرية الاقتصادية والأكاديمية، ولكن أيضاً الأدبية والفنية. لقد ترك تواجده في القسم احتراماً كبيراً وانطباعاً جميلاً فى نفوس زملاءه وطلبته بمدى عمق وإنسانية سلوكه وفكره الذى كان كريماً فى مشاركته مع الآخرين. وبقدر ما أحزن أسرة قسم الاقتصاد رحيله المبكر عنها بقدر ما افتخرت بعضويته فيها إلى آخر لحظه.

الأستاذ الدكتور/ رمزى زكى كان عاشقاً للبحث والكتابة، سخر حياته كلها لها، وظل حتى آخر لحظة وحتى فى فترة معاناته مع المرض الذى استشرى سريعاً فى جسده، مملوءً بحب البحث والكتابة، وكانت أمنيته الكبرى التى ظل يرددها هى أن ينجز مشروعه فى إكمال كتابين تخطى شوطاً فى إعدادهما، وظل إلى آخر لحظاته ورغم ألمه سعيداً بإهداء كتبه لكل زائريه المهتمين.

رمزى زكى .. مفكر اقتصادى .. مرهف الحس الوطنى

محيا زيتون

برحيل الزميل العزيز د./ رمزى زكى أعادنى الزمن عشرات السنوات للوراء. عندما كنا مجموعة من الشباب فى مقتبل العمر، أتاح لنا تفوقنا الدراسى فى مطلع الستينات التعيين فى المؤسسة الوليدة وقتئذ، وهى معهد التخطيط القومى. وكانت المجموعة تبشر بأن تكون نواة لفريق عمل علمى متميز/ قادر على المشاركة ورسم صورة أفضل لمستقبل مصر الاقتصادى. وكانت الطموحات كبيرة، ليس على المستوى الشخصى فقط ولكن على المستوى العام أيضاً، وكان الأفق متسعاً وممتداً لمثل هذه التطلعات.

وذهب أفراد المجموعة تباعاً فى بعثات دراسية بالخارج كل فى بلد ما. فقد كان الحصول على بعثة دراسية أملاً عزيزاً، ولكنه فى نفس الوقت سهل المنال لكل من توفرت لديه القدرات وتحلى بالمهارات.

وكان رمزى زكى منذ البداية متميزاً بشكل خاص، فقد عكف بجسارة حتى قبل السفر للحصول على درجة الدكتوراه، فى إعداد كتاب عن الادخار. ويعد بذلك من الحالات النادرة التى أصدرت كتاباً فى هذه المرحلة المبكرة من العمر. وعاد رمزى زكى وبعض الزملاء إلى معهد التخطيط القومى بعد الدكتوراه، وتفرقت باقى المجموعة فى الجامعات المصرية المختلفة وفقاً لشروط كل بعثة.

وشتان كبير بين الأمانى والتطلعات قبل السفر للخارج، وبين ما صارت إليه الأمور بعد العودة. خاصة وقد تحملنا أثناء دراستنا بالخارج أحزاناً عميقة

وإحباطات هائلة خلفتها أزمة ١٩٦٧. وذهب عبد الناصر بكل ما زرع من طموحات ومبادئ سامية، وبكل ما خلف من إحباطات وتداعيات غير هينة. وتطورت الأمور سريعاً فى السبعينات ليتحول النظام ـ دون مقاومة تذكر ـ إلى مرحلة تمهيدية سميت بالانفتاح. ثم حملت الثمانينات والتسعينات تغيرات هيكلية صريحة فى اتجاه الرأسمالية. وفى مجتمع لم تتطور مؤسساته وقوى إنتاجه بما يواكب هذا التحول، كانت النتيجة الطبيعية رأسمالية هشة ومتخلفة، نجنى عيوبها دون الحصول على مكاسبها وإنجازاتها.

ورغم أن التحولات قلبت الموازين، وأطاحت بمبادئ كثيرين، ظل رمزى زكى صامداً بصلابة. ليس لأن العلم عنده تحول إلى عقيدة، ولكن لأنه سخر العلم وكافة الأدلة الموضوعية لخدمة قضايا الوطن ومشكلاته، ولإثبات أن ما يجرى من تحولات كفيل بكبت الهمم، وتداعى فرص التنمية الحقيقية. وكان إنتاجه الغزير الذى تناول بعمق وبرؤى شاملة أهم القضايا التى واجهت دول العالم الثالث ذات الهموم المشتركة، ومصر والوطن العربى على وجه الخصوص.

وسواء كان الموضوع المديونية، أو التضخم أو البطالة أو النظام العالمى أو غيرها من القضايا، فالمشكلة دائماً تكمن فى أنظمة داخلية ضعيفة فى مواجهة الخارج، وقاسية داخلياً فى الانحياز ضد مصالح الفئات العريضة من أفراد المجتمع. أنظمة تابعة اندمجت دون وعى فى نظام عالمى صارم، له آلياته ومؤسساته القادرة على الاستحواذ، بينما دعمت فى الداخل مصالح قلة غير جادة ولا ملتزمة بتنمية حقيقية للاقتصاد الوطنى، بل كل همها الاستيلاء على أكبر قدر من ثروات المجتمع وموارده.

وهكذا .. كانت قناعة رمزى زكى أن التميز العلمى والانتماء الوطنى والمبادئ الراسخة، كلها كفيلة فى نظره بأن يظل الإنسان خالداً بفكره، موضع تقدير وفخر وإعزاز من أبناء وطنه. وسودنا جميعاً هذا الإحساس النبيل تجاه إنسان كافح واجتهد وأعطى، لينشر فكراً تقدمياً ووطنياً خالصاً.